

الانحرافات اللغوية عن النموذج الفصيح في اللهجة البغدادية المعاصرة - دراسة في الأمثال الشعبية -

أ.م.د. علي حمد عبد العزيز الشيخ حمد
كلية الإمام الأعظم الجامعة / العراق / بغداد
alihayahamd@imamaladham.edu.iq

مستخلص:

من المؤكد عملياً أنّ بين اللهجات العربية العامية اليوم واللغة العربية الفصحى علاقة وطيدة، لا تكاد تخفى على باحث، تبرز هذه العلاقة بين النموذجين - العامي والفصيح - في المستويات اللغوية المختلفة، وتكشف هذه العلاقة بأدنى معاينة ومقارنة بحثية، غير أنّ الباحث في نفس الوقت يلاحظ في هذه اللهجات ومنها «اللهجة البغدادية المعاصرة» كثيراً من الانحرافات عن النموذج اللغوي الفصيح، وهنا جاء البحث ليرصد بعضاً من أشكال هذه الانحرافات اللغوية في اللهجة البغدادية المعاصرة، محاولاً تقديم التفسيرات العلمية لهذه الانحرافات بعد مقارنتها بالنموذج الفصيح.

الكلمات المفتاحية: الانحرافات اللغوية، العربية الفصحى، اللهجة البغدادية.

Abstract :

It is practically certain that there is a close relationship between today's colloquial Arabic dialects and classical Arabic, which is hardly hidden from the researcher. This relationship between the two models - colloquial and classical - is evident at different linguistic levels, and this relationship is revealed with the slightest examination and research comparison. However, at the same time, the researcher notices in these dialects, including the "contemporary Baghdadi dialect", many deviations from the classical linguistic model. Here, the research came to monitor some of the forms of these linguistic deviations in the contemporary Baghdadi dialect, attempting to provide scientific explanations for these deviations after comparing them with the classical model.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدي رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، وبعد: فإن اللهجات العربية العامية اليوم - في أغلب أحوالها - صورة مُطَوَّرَة عن النموذج اللغوي العربي الفصيح، وبذلك يصدق عليها قول: «فصحى مُحَرَّفَة»، وهذه التحريفات حتمية في اللغات المستعملة الحية، استجابة لقوانين التطور اللغوي، مع كثرة الاستعمال الذي يجعل الأنماط اللغوية عرضة للتحريف والبلى اللفظي. ثم إن الأمثال الشعبية التي تشتهر على ألسنة أبناء المجتمع الواحد ثروة عزيزة، ورافد من روافد توثيق لهجات الشعوب المحكية، ومنفذ صادق في رصد تطور اللهجة ومسيرة حياة اللغة التي تنتمي إليها تلك اللهجات؛ لذلك وجدت هذه المقطوعات اللغوية الفنية عناية جيدة بالجمع والتدوين والشرح والتفسير قديماً وحديثاً⁽¹⁾.

إشكالية البحث:

مع ما يتضمّنه المثل الشعبي عموماً والبغدادية على وجه الخصوص من انحرافات لغوية كثيرة مقارنةً باللغة الفصحى - تفرضها قوانين التطور اللغوي الحتمية، وتفرزها لغة العامّة - إلا أنه لم يحضّ بالجهد العلمي الكافي في إبراز هذه الملامح

(1) من المصنّفات التي اعتنت بالأمثال العربية عند المتقدمين كتاب (أمثال العرب للمفضّل الضبي)، وكتاب (جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري)، وكتاب (مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني)، وغيرها. ومن أشهر المعاصرين الذي صنّفوا في أمثال اللهجة البغدادية خصوصاً الشيخ جلال الحنفي في كتابه (الأمثال البغدادية)، والعميد عبد الرحمن التكريتي في موسوعته الكبيرة (جمهرة الأمثال البغدادية).

العميقة ضمن مائدة البحث العلمي الجاد. ودراسة المثل في اللهجة المشار إليها دراسةً علميةً لأبعاده اللغوية يتطلّب مجموعة من المبادئ التي يمكن البناء عليها، لعل أهمها المعاشة والاستقراء ثم الوصف والتحليل وفق المناهج العلمية المعتمدة.

أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث من وجوه عدّة:

1. اشتغال البحث بوحدة من اللهجات العربية المركزية، التي يعرف الباحثون عمق تراثها اللغوي والحضاري.
2. معرفة حجم ونوع الانحرافات اللغوية الطارئة على اللهجات العربية الحديثة مقارنة بالفصحى في المستويات اللغوية المختلفة له أهميته في الدرس اللساني الحديث.
3. تقديم التفسير العلمي للانحرافات الجارية في اللهجة البغدادية وفق قوانين التطور اللغوي أو ما يمكن اعتباره تفسيراً منطقياً للظواهر اللغوية المختلفة.
4. توثيق النماذج المُحرّفة عن الفصحى يُحفّز الباحثين والمثقفين إلى إيجاد الوسائل العملية لردها إلى أصولها اللغوية الفصيحة.

أهداف البحث:

يهدف البحث بمجموع مضامينه إلى الآتي:

1. رصد الانحرافات اللغوية في اللهجة البغدادية المعاصرة، في مستويات لغوية متنوعة.
2. المقارنة بين النموذج اللغوي المستعمل والنموذج الفصيح، وتقديم التفسيرات العلمية لصور التطور اللغوي.
3. التنبيه إلى تلك النماذج المُحرّفة لهجياً للوقاية من تداولها على المستوى الفصيح.

هيكل البحث:

بُني البحث الموسوم «الانحرافات اللغوية عن النموذج الفصيح في اللهجة البغدادية المعاصرة - دراسة في الأمثال الشعبية» - على مقدمة وخاتمة بينهما مدخل تأسيسي ومبحثان:

المدخل تأسيسي تضمّن: التعريف بالأمثال الشعبية، واللهجة البغدادية المعاصرة، ودور الأمثال الشعبية في توثيق لغات الشعوب.

أمّا المبحث الأول فقد تناول الانحرافات اللغوية في المستوى الصوتي، ليختصّ المبحث الثاني بالكشف عن بعض الانحرافات اللغوية في المستوى النحوي. ثم ينتهي البحث بخاتمة: تتضمن أبرز نتائج البحث. ثم مسرد بقائمة المصادر والمراجع التي كانت عوناً للباحث في بحثه.

والله العظيم الكريم أسأل أن يرزقنا السداد والرشاد. والحمد لله رب العالمين.

.....

مدخل تأسيسي:

في المدخل التأسيسي سأقف بإيجاز على أربعة مفاهيم رئيسية:

أولاً: مفهوم الأمثال الشعبية:

المثل في اللغة يعود إلى المثل والشبه، قال ابن فارس (ت: 395هـ): «الميم والشاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء. وهذا مثل هذا، أي نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد. وربما قالوا مثل كشيء... والمثل: المثل أيضاً، كشبهه وشبهه. والمثل المضروب مأخوذ من هذا، لأنه يذكر مؤرراً به عن مثله في المعنى»⁽¹⁾.

وفي الاصطلاح «قال المبرد (ت: 285هـ): المثل

مأخوذ من المثل، وهو: قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه»⁽²⁾.

فالمثل يراد به العبارة الفنية السائرة الموجزة، التي تصاغ لتصور موقفاً أو حدثاً، وتستخلص خبرة إنسانية يمكن استعادتها في حالة أخرى مشابهة⁽³⁾.

والأمثال الشعبية المعاصرة جارية على هذا النسق من كونها عبارات موجزة فصيحة أو عامية تُعبّر عن مواقف معينة، يمكن استحضارها في المواقف المشابهة على سبيل المقاربة والاحتجاج.

ثانياً: اللهجة البغدادية المعاصرة:

اللهجة في اللغة: من الجذر (لهج) وهذا الجذر يحمل معنى ملازمة الشيء والولع به والاعتقاد عليه، فيقال: لهج فلان بكذا وكذا: إذا أولع به، ولهج الفصيل بأمه يلهج: إذا اعتاد رضاءها، و(لهج) بالكسر من باب (فرح وطرب)⁽⁴⁾.

واللهجة في الاصطلاح: هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة⁽⁵⁾.

واللهجة البغدادية المعاصرة اليوم امتداد لتلك العربية الفصحى العتيقة، مع ما عرض لها في مسيرة حياة اللهجة من التحريفات والدخيل، ما يجعل لها سمة خاصة تُعرف بها، وتتميز من غيرها من اللهجات العربية المعاصرة، على مستوى الأصوات والمعجم وما فوق ذلك.

يقول الشيخ جلال الحنفي: «والأقوام الذين

(2) مجمع الأمثال، الميداني: 1/1.

(3) ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من الباحثين:

695/2. والنشر في العصر الجاهلي، هاشم مناع: 169.

(4) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهرى: 6/36، وتاج العروس،

الزبيدي: 6/192، ومختار الصحاح، الرازي: 285.

(5) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس: 15.

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: 5/296.

أسنة أسلافهم القدماء نحوًا من سبعمائة سنة، خلافًا لما يظنه كثير من الناس الذين يتوهمون أنَّ هذه اللهجة اللغوية الشائعة الآن في العراق ليست لهجة قديمة، وما أكثر الشواهد على ذلك»⁽³⁾.

ثالثًا: دور الأمثال الشعبية في حمل ثقافة الشعوب وتجزيرها:

الأمثال مستودع لثقافة الشعوب وحكمها وتجارها، وخزين ثري لما تمتلك تلك الشعوب من مرجعيات فكرية وحضارية، وعادات وأعراف تحتكم إليها وتؤمن بها، وبذلك تكون تلك المقطوعات اللغوية مُمثلاً صادقاً لتراث المجتمع الثقافي بكلّ تفرعاته، ويمكن -بعد ذلك- حمل وتمير هذه الثقافات إلى الأجيال المتعاقبة عبر تلك الأمثال؛ لسهولة حفظها، وحرص أبناء المجتمع على تداولها وكثرة استعمالها واستحضارها في المواقف المختلفة.

فالعبارات التي يكثر تردادها على الألسن وتتداولها الأفكار ويتقاذفها المجتمع في محافله المختلفة -الرسمية والعامّة-، ويحتكم إليها في كثير من الأحيان على نحو من التسليم والإذعان الواعي أو غير الواعي يمكن اعتمادها جزءاً أصيلاً من رصيد المجتمع الثقافي، ومعبراً عمّا يؤمن به من أفكار ومعتقدات عميقة، ونموذجاً صادقاً للغة ذلك المجتمع وطريقته في الأداء اللغوي على جميع مستوياته.

يقول الأستاذ عبد اللطيف الدليشي: «فالمثل أدب قائم بذاته، سواء ما كان منه شعبياً، أو فصيحاً، يمتاز بقصر العبارة ووضوح المعنى؛ لسهولة فهمه وحفظه، وحب التمثل به، كما أنّه تعبير حر صادق

سكنوا بغداد بعد ابتلائها بالطاعون الثاني الذي حدث سنة 1843م والطوفان الذي ردفه، هم الذين ترجع إليهم أصول العامية القائمة اليوم، ذلك بالإضافة إلى من بقي من البغداديين أحياء على أثر تلك الأحداث المروعة، فإنّ هؤلاء نقلوا إلينا لغة سكان بغداد قبل نكبتها بالطاعون والماء»⁽¹⁾.

ويقول الدكتور مجيد القيسي: «والحقيقة التي تبعث على الدهشة أن اللغة العامية التي ما يزال يتحدث بها البغداديون اليوم والتي أصبحت مثلاً يحتذى به للوافدين إليها من المدن العراقية الأخرى كانت حتى وقت قريب؛ لا يزيد على القرن الواحد، هي نفس اللغة التي كانت سائدة في العصر الذي أعقب احتلال المغول للعراق وسقوط الخلافة العباسية عام 656هـ، فهي وإن احتفظت بالكثير من أصولها وقواعدها العريقة، غير أنّ البغادة أخذوا يتخلون عن الإعراب شيئاً فشيئاً، فنحوا نحو تسكين أو آخر الكلمات؛ متأثرين باللغات النبطية، كما أكثروا من المجاز والارتجال والتوليد والتحريف والتصحيف والقلب والإبدال والنحت والاختصار، كما استساغوا البدء بساكن أو جمع ساكنين، أو النطق بإمالة الأحرف، كما استعاروا عددًا من الأوزان الصرفية من اللغات السامية، بل ونراهم قد بالغوا حين اقترضوا صوراً وقوالب تعبيرية من لغات أعجمية كالفارسية والتركية والهندية، لكنها أخذت بالاضمحلال شيئاً فشيئاً ولم يبق منها اليوم سوى القليل»⁽²⁾.

ويقول الشيخ محمد رضا الشيبلي عن لهجة العراقيين عموماً: «إنّ لهجتنا الشائعة اليوم، أو لهجة جمهور العراقيين المحكية الآن، كانت دائرة على

(3) معجم وأصول اللهجة العراقية، محمد رضا الشيبلي:

(1) معجم اللغة العامية البغدادية، جلال الحنفي: 5.

(2) موسوعة اللغة العامية البغدادية، مجيد القيسي: 19-18.

المبحث الأول

الانحرافات اللغوية في المستوى الصوتي

تشتهر في لغة العامّة انحرافات صوتية كثيرة، يمكن ملاحظتها بأدنى متابعة وتأمل في اللهجة محلّ الدراسة، وهذه الانحرافات جارية في الكلام العاديّ، وفي الأمثال والحكم التي تشتهر على ألسنة العوامّ أيضاً، ومع كثرة الظواهر الصوتية التي يمكن تصنيفها على أنّها من قبيل الانحرافات اللغوية إلا أنّي سأقف على ثلاث ظواهر صوتية؛ اختصاراً في مادة البحث، وهي على ما يأتي:

أولاً: التبدلات الصوتية⁽³⁾:

مما يلاحظه اللغويّ وقوع عدد ليس بالقليل من «التبدلات الصوتية» بين الأصوات التي تنتمي إلى مخرج واحد في اللهجة البغدادية، ومن ذلك مثلاً وقوع التبدلات المتنوعة لصوت القاف العربي، وقد رصد البحث ثلاث تبدلات صوتية لهذا الصوت في الأمثال الشعبية البغدادية وهي على ما يأتي:

1. إبدال القاف⁽⁴⁾ جيماً سامية⁽⁵⁾: ومنه قولهم في المثل: «السّمج يتكّل بدهنه»⁽⁶⁾، وقولهم: يتكلى

(3) المراد بالتبدلات الصوتية تلك التغيرات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة، بحيث يصير الصوت اللغوي الواحد في جميع أو بعض سياقاته صوتاً آخر. ينظر: التطور اللغوي، رمضان عبدالنواب: 24.

(4) القاف (q): صوت لهوي شديد مهموس. ينظر: المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبدالنواب: 54-55.

(5) الجيم السامية (g - گ) الخالية من التعطيش هي الكاف المجهورة أو الجيم القاهرية كما يسميها البعض، وهي صوت طبقي شديد مجهور. ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر: 338، وأصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب: 213-212، والمدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري: 291.

(6) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/205.

عن طبيعة العصر في نظمه السياسية، وعاداته الاجتماعية، ومعتقداته الروحية، ومثله، وأهدافه، ولذا فإننا نراه كثيراً ما يقرر قواعد، ويشير إلى مفاهيم قد تبدو غريبة أو مستهجنة في عصرنا هذا، ولكنها كانت مألوفة متبعة في العصر الذي قيلت به، كما أنّ المثل يختلف باختلاف عقليات وطبقات المجتمع⁽¹⁾.

رابعاً: الانحرافات اللغوية في الأمثال الشعبية⁽²⁾:

معلوم أنّ الأمثال الشعبية تنبع من أعماق المجتمع، فتكون حاضرة في اللهجات المحكيّة الحية في مواقف متعدّدة، وهي بذلك كثيرة التداول والاستعمال؛ ولأجل هذا فإنّ بنية المثل اللغوية كثيراً ما تكون عرضة للتطور والتحريف والبلبلي؛ لكثرة دورانها على الألسن، وانتقالها من جيل إلى جيل، واختلاف المستوى الثقافيّ المستعمل لها من أبناء المجتمع الواحد.

ومن الملاحظ في اللهجات العربية المحكيّة اليوم -ومنها اللهجة البغدادية- شيوع نماذج متنوعة من الانحرافات اللغوية قياساً باللغة العربية الفصحى، وتتمظهر هذه الانحرافات في المستويات اللغوية: صوت وصرف ونحو ومعجم ودلالة، وسأتي إلى شواهد ذلك من المثل الشعبيّ البغداديّ لفرعين من هذه المستويات.

وأعنى بالانحرافات اللغوية هنا الخروج عن الأصل الفصحى، أو القياس على الشاذ والنادر من نماذج اللغة الفصيحة.

(1) الأمثال الشعبية في البصرة، عبد اللطيف الدليشي: 6.

(2) لم أقف على دراسة بهذا المنهج تناولت الأمثال البغدادية.

لانعكاس الأمور ووقوعها على شرِّ الوجوه.

ثانياً: التخلُّص من الهمز:

من الظواهر الصوتية في اللهجة البغدادية أيضاً ظاهرة التخلُّص من الهمز، بالإبدال أو الحذف، وهو كثير جداً في اللهجة؛ تخلُّصاً من صعوبة نطق الهمزة، حيث إن الهمزة صعبة النطق قياساً بغيرها من أصوات العربية⁽⁷⁾، فتسعى اللهجات العربية إلى معالجة هذه الصعوبة، إما بتسهيل الهمزة أو إبدالها صوتاً صائتاً مناسباً لما قبلها صوتياً، وإما بحذف الهمزة تماماً دون تعويض لها.

ومن إبدال الهمزة صائتاً طويلاً في اللهجة البغدادية قولهم في المثل: «إِذَا شِفْتُ صَاحِبَكَ حَلَوُ لَتَاكُلُهُ كَلَّهُ»⁽⁸⁾، والأصل في «لتأكله»: لا تأكله، أبدلت الهمزة ألفاً، ويمكن تحليله صوتياً بأن الهمزة حُذفت من اللفظ وجرى تطويل الفتحة القصيرة اللاحقة للتاء فغدت فتحة طويلة. وهذا النمط كثير شائع في اللهجة. ويُضربُ المثل السابق في النهي عن التعسُّف في استغلال الصديق إذا كان معروفًا بالكرم والدمائة والحلم.

ومن ذلك أيضاً قولهم في المثل: «إِذَا مَتَوَّعَ تَوَزِيرَهُ مِمْتَلِي بَيْرٍ»⁽⁹⁾: والأصل في «بئر»: بئر، أبدلت الهمزة ياء⁽¹⁰⁾؛ تخلُّصاً من الهمز ومناسبةً لكسرة الباء قبلها، والمعنى في المثل أن البئر لا تُتردم

(7) تقول الدكتور آمنة الزعبي: لعل صعوبة عملية النطق بالهمزة واحتياجها إلى مجهود عضلي كبير يقع على عاتق الوترين هو ما يفسر سقوط هذا الصوت من العربية في لهجات الحضر خاصة وفي غيرها من اللغات. ينظر: التغيير التاريخي للأصوات، آمنة الزعبي: 15. (8) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/33. (9) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/37. (10) ويمكن تحليله صوتياً أيضاً بأن الهمزة حُذفت من اللفظ وجرى تطويل الكسرة القصيرة اللاحقة للباء فغدت ياءً طويلة.

أي: يُقلى. ويُضربُ المثل للأذى يأتي من قريب، ويُضربُ أيضاً للاكتفاء باليسير المتيسر دون البذخ والإسراف.

ومنه قولهم: «أَبُو الْجَعَلِ فُوْغُ التَّلِّ، بِيَدِهِ عَصَاةٌ وَيُفْتِرُ»⁽¹⁾، وقولهم: فوْغُ، أي: فوق. ويُضربُ المثل لوضع المنزلة يتباهى بمكاته. و«أَبُو الْجَعَلِ»: حشرة من فصيلة الخنافس.

2. إبدال القاف كافاً⁽²⁾: ومنه قولهم في المثل: «كَاتِلِ الْجُوعِ بِالرَّاحَةِ»⁽³⁾، و«كَاتِلِ» أي: قاتل. وهو من الكنيات، ويُضربُ المثل للكسالى يبلغ بهم الخمول والخور مبلغاً يُرجحون معه معالجة الجوع بالإخلاق إلى الراحة.

ومنه أيضاً قولهم في المثل: «كَيْتَلْنِي وَاشْتَجِي وَغَلْبَنِي بِالْبِجَا»⁽⁴⁾، «كَيْتَلْنِي» أي: قتلني، ويُضربُ مثلاً لمن يجني الجناية ويظهر ما يوهم أنه المجنيُّ عليه. وفي المثل شاهد لإبدال الكاف جيماً مهموسة (č - tsj).

3. إبدال القاف جيماً فصيحة: ومن ذلك قولهم في المثل: «صِدِيحُ الْبَطْنِ كُلُّ يَوْمٍ زَعْلَانٌ»⁽⁵⁾. وقولهم: «صِدِيحٌ» أي: صديق. ويُضربُ المثل في أن العلاقات القائمة على الأطماع والشهوات مُعَرَّضَةٌ لِلانْشِقَاقِ.

ومنه أيضاً قولهم: «أَعْمَى يَكُودُ بَصِيرٍ، مِنْ جِلَّةِ التَّدْبِيرِ»⁽⁶⁾. قولهم: «مِنْ جِلَّةٍ» أي: من قلة، فجرى إبدال القاف جيماً في اللهجة. ويُضربُ المثل

(1) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/19.

(2) الكاف: صوت طبقي شديد مهموس مرقق. ينظر:

المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب: 53.

(3) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/297.

(4) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/235.

(5) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/227.

(6) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/46.

في الأفعال.

ومن ذلك قولهم في المثل: «خَشَبَ مَرْفَعٌ لِيُضْرَبَ وَيُنْفَعُ»⁽⁴⁾: والأصل الفصيح في خَشَبَ: خَشَبَ، جمع خَشَبَةٌ. وَيُضْرَبُ المثل للعاجز من الناس، والمَرْفَعُ: نوع من الخزانات والدواليب تُحْفَظُ فيها الألبسة والأمتعة، وأنَّ هذه الخزانة إذا تَفَكَّكَتْ فَإِنَّ قِطْعَهَا لا تَصْلِحُ لشيء.

ومنه أيضاً قولهم في المثل: «ضَرَبَنِي وَاشْتَجَى وَغَلَبَنِي بِالْبِجَا»⁽⁵⁾: والأصل: ضَرَبَنِي، وَغَلَبَنِي. وَيُضْرَبُ المثل لمن يجني الجناية ويظهر ما يوهم أنه المجنيُّ عليه كالبكاء مثلاً.

ولعلَّ هذا الكسر راجع إلى تعميم ظاهرة التثنية الصوتية المعروفة في اللهجات العربية القديمة، وهي كسر حرف المضارعة في الفعل، فقد نصَّ غيرُ واحد من اللغويين على وجود هذه الظاهرة في اللهجات القديمة، وتُعرَفُ عندهم بـ«التثنية» أو «تثنية بهراء» نسبةً إلى قبيلة «بهراء»⁽⁶⁾، قال ابن جنِّي: «وأما تثنية بهراء، فإنها تقول: تعلمون وتفعلون وتصنعون بكسر أوائل الحروف»⁽⁷⁾.

ويقول الدكتور رمضان عبد التواب: «نرى كثيراً من اللهجات الحية المعاصرة في البلاد العربية المختلفة تكسر حرف المضارعة في نحو: (يكتب، ويفتح ويضرب، ويقول) وأشباهاها»⁽⁸⁾. وقد جرى تعميم هذه الظاهرة كما يبدو على أغلب أنماط المفردات الاسمية والفعليَّة في اللهجة البغداديَّة المعاصرة.

بالقليل من التراب والحجارة، ما لم ينهدم جانب كبير من جدار ونحوه فتتخذ أنقاضه ردمًا لها، ويُضْرَبُ المثل للغيات الكبيرة تحتاج إلى مساعٍ عظيمة.

ومن الحذف قولهم في المثل: «إذا جا القدر عمى البصر»⁽¹⁾: والأصل في «جا»: جاء، حذف الهمزة تخفيفاً، وهو كثير في اللهجة. والمثل المذكور يُضْرَبُ في الاعتذار من التعرض للمصيبة تقع دون التنبه لمقدماتها.

وظاهرة التخلص من الهمز ليست بدعة في اللهجة البغدادية، فاللهجات العربية قديماً وحديثاً تسعى لإبدال صوت الهمزة بحركات طويلة -حروف المد- أو أشباه الحركات، أو تسعى اللهجة إلى إسقاط الصوت والتخلص منه تماماً، وهذا ما حصل للهمزة في اللهجة البغدادية المعاصرة.

يقول ابن جنِّي عن صوت الهمزة: «وهو في الكلام على ثلاثة أضرب: أصل، وبدل، وزوائد. ومعنى قولنا أصل: أن يكون الحرف فاء الفعل، أو عينه، أو لامه، ومعنى قولنا زائد: أن يكون الحرف لا فاء الفعل، ولا عينه، ولا لامه، والبدل: أن يقام حرف مقام حرف. إما ضرورة، وإما استحساناً وصنعة»⁽²⁾.

ويقول الدكتور تمام حسان: «والهمزة... إذا استثقلت لم يكن تخفيفها بواسطة الإدغام، وإنما يكون بطرق أخرى يشملها التغيير أو الحذف، ولعل سيبويه يستعمل كلمة التغيير هنا عمداً؛ ليشمل بها القلب والإبدال والتسهيل»⁽³⁾.

ثالثاً: كسر أوائل الكلمات:

من الظواهر الفاشية في اللهجة البغداديَّة المعاصرة ظاهرة كسر أوائل الكلمات، في الأسماء أو

(4) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/164.

(5) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/235.

(6) ينظر: الخصائص، ابن جنِّي: 2/13، ودرة الغواص،

الحريري: 224، والمزهر، السيوطي: 1/167.

(7) سر صناعة الإعراب، ابن جنِّي: 1/242.

(8) بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التواب: 265.

(1) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/30.

(2) سر صناعة الإعراب، ابن جنِّي: 1/83.

(3) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان: 284-283.

غير أنّ اللهجات المعاصرة أجرت بعض التعديلات على هذه المقاطع، فقبلت ما كان مرفوضاً في الفصحى، ويتمثل التعديل على المقطع الفصحى في اللهجة البغدادية المعاصرة بقبول المقطع المرفوض الذي يشتمل على صامتين (ص ص ح) في بداية الكلمة، ومن ذلك قولهم: (زِدْحام / سُبوع / حَبال) من دون همزة وصل سابقة. ومن شواهد هذا التعديل المقطعي في الأمثال البغدادية:

قولهم في المثل: «ضراط اللحم أحسن من تسييح السّمج»⁽⁵⁾، ويضرب المثل في ترجيح لحم الضأن على الأسماك. والكلمة الأولى في المثل مبدوءة كما هو ظاهر بصامتين متتاليتين (ص ص ح ح) وهو مقطع مرفوض في الفصحى.

المبحث الثاني

الانحرافات اللغوية في المستوى النحويّ

المستوى النحويّ من المستويات اللغوية المرعية في اللغة العربية، وله جملة من المبادئ والقوانين التي يجري عليها النطق الفصحى للغة، وقد رصد البحث عدداً من الانحرافات اللغوية النحوية في الأمثال الشعبية البغدادية، وسأقف في هذا البحث على ثلاث ظواهر نحوية فاشية في لغة الأمثال الشعبية، وهي على ما يأتي:

أولاً: غياب علامات الإعراب:

اللغة العربية الفصحى لغة معربة، تعنى بعلامات الإعراب في أواخر الكلم، سواء عن طريق اللواصق الحرفية كما في جمع المذكر وجمع المؤنث أو بالحركات التي تدل على وظائف نحوية معينة،

رابعاً: تعديل على النظام المقطعي الفصحى:

يتمظهر النظام المقطعي العربي الفصحى بخمسة أو ستة مقاطع يعرفها دارسو النظام المقطعي في اللغة العربية⁽¹⁾، وأي مقطع لا ينتمي إلى هذه الأنواع يمكن تصنيفه على أنه مقطع مرفوض صوتياً عند ابن اللغة، وتبعاً لهذه الفكرة فإن ابن اللغة يُجري تعديلات صوتية متنوعة للتخلص من المقاطع المرفوضة⁽²⁾ الواردة في السلسلة الكلامية التي يطرأ عليها هذا النوع من المقاطع. من ذلك مثلاً إقحام همزة الوصل في الأمر من نحو: اضرب، والتعامل مع التقاء الساكنين بإقحام حركة أو حذف حركة أو تقصير حركة، وكما في جزم المضارع الأجوف أيضاً، وحال اتصال تاء التأنيث الساكنة بالفعل الناقص نحو: سَعَتْ، ونحو ذلك⁽³⁾.

ومن المقرر في هذا النظام الفصحى أنّ المقطع في العربية يبدأ بصوت صامت يتبعه صائت قصير أو طويل، ولا يجتمع صوتان صامتان متتالين في أول المقطع، وهو ما عبّر عنه علماء العربية قديماً بعدم جواز الابتداء بالساكن⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 153، والتطور اللغوي، رمضان عبد التواب: 95، والمدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري: 200، ودراسات في فقه اللغة، يحيى عبابنة: 15-19.

(2) للدكتور يحيى عبابنة بحث مفصل حول المقطع المرفوض وأثره في بنية الكلمة. ينظر: دراسات في فقه اللغة، يحيى عبابنة: 17-37.

(3) في تفصيل القول حول هذه التطبيقات وشواهدا ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان: 278-277، ودراسات في علم اللغة، كمال بشر: 103، والمدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري: 201-204.

(4) ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني: 63/2، وشرح

شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي: 2/262.

(5) الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/234.

ثانياً: تعميم العلامة الإعرابية الواحدة:

تختلف العلامات الإعرابية في اللغة العربية تبعاً لاختلاف نوع الكلمة وانتمائها وفق التصنيف المعهود في اللغة: إفراد وتثنية وجمع، ووفق معايير فرعية أخرى، ومعلوم أن علامة المثني هي الألف في حالة الرفع، والياء في حالتي النصب والجر، وأما جمع المذكر السالم، فعلاقة الرفع فيه الواو، والياء علامة له في حالتي النصب والجر⁽⁴⁾.

والملاحظ أن اللهجة البغدادية المعاصرة عممت العلامة اليائية في كل أحوال المثني وجمع المذكر وما يلحق بهما، انحرافاً عن الأصل الفصيح في الفرز بين العلامات تبعاً للمواقع الإعرابية.

ومن ذلك قولهم في المثل: «جادوا علينا الخيرين بالهم، واحنا بسال الخيرين نجود»⁽⁵⁾، فالأصل أن يقال: الخيرون؛ لأنه فاعل مرفوع وهو جمع مذكر سالم، إلا أن اللهجة عممت علامة الياء على كل أحوال جمع المذكر، رفعاً ونصباً وجرّاً.

والمثل المذكور يُضرب لمن يتشبه بالكرام، فيجود الإنسان على الناس ببعض ما يلقاه من جود الآخرين.

ومن ذلك أيضاً قولهم في المثل: «أربعين حاجب ما كتلوا فارة»⁽⁶⁾، والأصل في «أربعين» أن يُقال: أربعون؛ رفعاً على الابتداء، في ظل مسوغات الابتداء بالنكرة، إلا أن ذات السبب السابق ذكره جعل علامة الياء في كل أحوال جمع المذكر وما يلحق به.

واللهجة البغدادية اليوم - المتفرعة عن العربية الفصحى - قد أهملت في أكثر أحوالها علامات الإعراب الحركية، وجرى على ألسنة البغداديين نطق الكلمات ساكنة الأواخر وصللاً ووقفاً، وهذا الحال جارٍ على الأمثال الشعبية المشتهرة على ألسنة أبناء المجتمع البغدادي.

وتأسيساً على ذلك نجدهم يملون علامات الإعراب في الأسماء والأفعال، فيسكنُ الفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر وغيرهما، ويسكنُ آخر الفعل المضارع المعرب، وكذلك تُهمل حركات البناء آخر الأفعال والأسماء المبنية.

ويبدو أن هذا حال أكثر اللهجات المتفرعة عن العربية اليوم، يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: «وجميع الجمل في اللغات العامية المتشعبة عن العربية، فقد تجردت جميعها من علامات الإعراب الدالة على وظائف الكلمات، وعلاقة أجزاء الجملة بعضها ببعض»⁽¹⁾.

ومن شواهد ذلك في المثل الشعبي البغدادي قولهم: «الجوعُ كافر»⁽²⁾، بسكون أواخر الكلمات، ويُضرب المثل لشدة قسوة الجوع، تشبيهاً للجوع بقسوة الكافر على المؤمن.

ويقولون: «مثل حمار المدار يدورُ يدورُ وهوَّ مكانه»⁽³⁾ بإسكان آخر الفعل المضارع، والأسماء كذلك خاضعة لهذا التسكين إلا في حال التقاء الساكنين. ويُضربُ المثل المذكور للمبتاطئ في عمله. وفي الأمثال الواردة في جميع هذا البحث كفاية للتدليل على غياب الحركات في اللهجة.

(4) ينظر: اللمع، ابن جني: 20-19، والمفصل،

الزنجشيري: 229 و235، وتسهيل الفوائد، ابن مالك:

12-13، ومتن شذور الذهب، ابن هشام: 4-3.

(5) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/125.

(6) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/38.

(1) ينظر: علم اللغة، علي عبد الواحد وافي: 118.

(2) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/132.

(3) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/69.

نمط التعميم في كلِّ أحوال هذه الأسماء حتى مع اختلاف مواقع الإعراب. ويُضربُ المثل في تحاشي الزواج من الموغلين في الفقر، لئلا يؤدي ذلك إلى انتقال عاداتهم إلى البيت الجديد.

ومنهم قولهم: «البيت بيت أبونا، والناس يعاركونا»⁽⁶⁾، والأصل: بيت أينا، بالياء جرًّا للإضافة أيضًا. ويُضربُ المثل لذوي الحقِّ يُمنعون من التصرف في حقِّهم.

والعربية العتيقة جرى عليها هذا النوع من التعميم في بعض لهجاتها فيما يخص بعض الأسماء الستة، وهو التزام الألف مطلقًا في (أب، وأخ، وحم)، فيقال: هذا أباك، ومررت بأباك، وكذا الأخ والحلم، وقد سماها النحويون لغة القصر في الأسماء الستة⁽⁷⁾، ومنه الشاهد المشهور⁽⁸⁾:

إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا ... قَدْ بَلَغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا
ثالثًا: تطابق العدد في الجملة الفعلية⁽⁹⁾:

المراد بالتركيب المشار إليه ما يصطلح عليه

(6) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/103.

(7) ينظر: شرح التسهيل، ابن مالك: 1/45، وشرح المفصل، ابن يعيش: 1/155، وشرح ابن عقيل: 1/50.

(8) الرجز لرؤبة في ملحق ديوانه ص 168. والشاهد فيه قوله: «أبا أباه» حيث ألزم قوله «أبا»، وهو من الأسماء الستة الألف في حالة الجر على لغة، والأشهر القول: «أبا أبيها».

(9) إطلاق مصطلح «الانحراف اللغوي» على هذه الظاهرة النحوية فيه شيء من التسامح، إذ إنها ظاهرة موثوقة النسبة عن العرب وإن كانت نادرة، وجاءت في لغة القرآن والحديث أيضًا على وجه الندرة، وقد قررنا أن الانحراف اللغوي يمكن إطلاقه على ما خالف الفصيح وكان من قبيل الشاذ أو النادر. وقد ناقش الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه المدخل إلى علم اللغة ص 299 هذه الظاهرة تحت هذا العنوان الذي اعتمده في التعريف بالظاهرة.

ويُضربُ المثل في التقليل من شأن قوم، ومعنى الفارة هنا القصة تُلف عليها الخيوط، وهي من بعض أدوات الحياكة، ولا يصدق عليها معنى القتل إلا مجازًا.

ومنهم قولهم: «البطن طبل والرجلين جبل»⁽¹⁾ والأصل أن يقال: والرجلان، بالرفع على الابتداء؛ لأنَّه مثني، وجمع الكلمة أرجل، ويُضربُ المثل للاستخفاف بالسَّمان من الناس مبالغته في انتحال العيوب لهم.

ومنهم قولهم: «حشفتين متلذك»⁽²⁾، والأصل: حشفتان، بالرفع مع الألف علامة لرفع المثني. ويُضربُ المثل للبخلاء لا تجمع بينهم جامعة. ومنهم قولهم: «حصانين على معلق واحد ميربطن»⁽³⁾، والأصل: حصانان، بالألف رفعًا للمثنى حالة الابتداء. ويُضربُ المثل لقويين لا يتطاوعان.

ومثل ذلك التعميم تعميم علامة الرفع في الأسماء الستة في كلِّ الأحوال الإعرابية، حيث أنَّ الأصل الفصيح في الأسماء الستة أنَّها تُعربُ بالواو رفعًا وبالألف نصبًا وبالياء جرًّا⁽⁴⁾، إلا أنَّ اللهجة البغدادية المعاصرة عممت علامة الرفع -الواوية- في كلِّ المواقع الإعرابية.

ومن ذلك قول البغداديين في المثل: «بنتِ الفكر لا تاخذوها، تجيب الفكر من بيت أبوها»⁽⁵⁾، والأصل أن يقال: من بيت أبيها، بالياء علامة للجرِّ للإضافة، إلا أنَّ تعميم علامة الرفع فرض على القائل سلوك

(1) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/91.

(2) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/151.

(3) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/151.

(4) ينظر: اللمع، ابن جني: 18، والمفصل، الزمخشري: 33، ومتن شذور الذهب، ابن هشام: 3.

(5) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/98.

أن يُقال: إذا تصالح البزّون والفأر. من دون علامة الواو اللاحقة للفعل «تصالح»، إضافة إلى أن اللهجة كثيراً ما تُعامل المثني معاملة الجمع.

ويُضربُ المثل سابق الذكر في أن تشاكس الخصوم يعود بشيء من الخير على عدوّهم، إذ ينزاح عنه بعض شرورهم. والتكّان: هو مخزن العطار وغيره من أصحاب المتاجر والحرف.

ومن هذا التطابق في الجملة الفعلية قولهم في المثل أيضاً: «تلاگوا عرنة وعرنين»⁽⁶⁾، بإلحاق الواو للفعل علامة لثنية الفاعل أو جمعه. ويُضربُ المثل في توافق الأشباه من النكرات.

رابعاً: الاستغناء عن نمط المبني للمجهول لصالح وزن (انفعل):

يجري في فصيح العربية نمط من الأنماط اللغوية المعهودة موسوم عند النحويين بالمبني للمجهول، أو المبني للمفعول، أو المبني لما لم يُسمَّ فاعله، أو المفعول الذي لم يسم من فعل به، أو باب نائب الفاعل كما في كتب النحو العربي التراثي⁽⁷⁾، وخلاصة التعريف بهذا التركيب⁽⁸⁾ هو حذفُ الفاعل وإقامة ما ينوب عنه من مفعول أو نحوه⁽⁹⁾؛ لغرض لفظي أو

النحويون بلغة «أكلوني البراغيث» أو لغة «يتعاقبون فيكم» كما يسميها ابن مالك تشریفاً لها، وهي لغة منسوبة لبعض العرب، وتعني أن المعهود في التركيب العربي «إذا تقدم الفعل على المسند إليه فاللغة المشهورة ألا تلحقه علامة ثنية ولا جمع بل يكون لفظه قبل غير الواحد والواحدة كلفظه قبلها، ومن العرب من يوليه قبل الاثنين ألفاً، وقبل المذكرين واوًا، وقبل الإناث نوناً مدلولاً بها على حال الفاعل الآتي قبل أن يأتي، كما دلّت تاء (فعلت هند) على تأنيث الفاعلة قبل أن يذكر اسمها»⁽¹⁾.

إلا أن اللهجة البغدادية المعاصرة خرجت عن هذا النمط المعهود في الفصيح، وصارت إلى النادر منه مطلقاً، فهي تُلحق الفعل علامة للجمع مراعاة لحال الفاعل، فهم يقولون باطراد: «راحوا المدرسين»، و«ركعوا المُصلّين» وهكذا.

ومن ذلك قولهم في المثل: «جادوا علينا الخيرين بما لهم، واحنا بمال الخيرين نجود»⁽²⁾، والأصل أن يقال: جاد علينا الخيرون. ويُضربُ المثل لمن يشبه بالكرام.

وقولهم: «جَوَّ العجم جو، ولا شمعة ولا ضو، ولا ديج يعوي ولا چلب يگول عو»⁽³⁾، والأصل أن يقال: جاء العجم، إلا أن اللهجة أدخلت علامة الجمع على الفعل وهي الواو لأنَّ الفاعل جمع، ويُضربُ المثل للممّلقين من الفقريّون على قوم. ومن ذلك أيضاً قولهم في المثل: «إذا تصالحوا البزّون⁽⁴⁾ والفأر، انهجم تُكّان العطار»⁽⁵⁾، والأصل

(1) شرح التسهيل، ابن مالك: 2/116. وينظر: الكتاب، سيبويه: 1/19.

(2) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/125.

(3) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/132.

(4) البزّون: القطّة في اللهجة البغدادية.

(5) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/30.

(6) ينظر: الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/120.

(7) ينظر: الأصول في النحو، ابن السراج: 1/76، واللمع، ابن جنّي: 33، والمفصل، الزمخشري: 343، وشرح التسهيل، ابن مالك: 2/124.

(8) والمبني للمفعول هو ما استغنى عن فاعله، فأقيم المفعول مقامه وأسند إليه معدولاً عن صيغة (فعل) إلى (فعل)، ويسمى فعل ما لم يسم فاعله. ينظر: شرح المفصل، ابن عيش: 4/306.

(9) فيما ينوب عن الفاعل ينظر: ارتشاف الضرب، أبو حيان: 3/1325، وأوضح المسالك، ابن هشام: 2/120، ومعاني النحو، فاضل السامرائي: 2/79.

بيئتها) في الفصيح المبني للمفعول.
ومن ذلك قولهم: «انزمر زمره، وأنكل تمره»⁽⁸⁾،
ويضرب المثل لمن لم يبق له طول يُحشى، ولا فضل يُرجى، وقولهم: (أنكل تمره)، أي: أكل تمره.
ويبدو أن هذا النمط (انفعل) استأثر بالزمانين
الماضي والمضارع لهجياً، فليس ثمة ما يدل على
معنى (يكتب الدرس) غير (انكتب الدرس) في
اللهجة العامية البغدادية.
ومثل ذلك لو قيل في الفصيح: (يُضربُ الولد)
سيقابله نمط (انضرب الولد) في اللهجة المشار
إليها.

والعلاقة بين صيغة (انفعل) وصيغة المبني
للمجهول لا يبدو أنها من لغة المعاصرين، فقد
أشار الدكتور رمضان عبد التواب إلى أن صيغة
(انفعل) كانت موضوعاً للدلالة على مطاوعة
الفعل الثلاثي، أي قبول أثر هذا الفعل، مثل:
(كسرت الإناء فانكسر)، ولما كان فاعل هذا الفعل
المطاوع، ضميراً يعود على مفعول الفعل السابق
عليه في جملته، أصبح الفعل المطاوع مشبهاً في المعنى
للمبني للمجهول في نحو: (كُسر الإناء) إذ لا يذكر
مع المبني للمجهول غالباً، إلا ما هو مفعول به في
المعنى، وأصبح من الممكن أن ينوب هذا المطاوع
مناب المبني للمجهول. وقد بدأت هذا الظاهرة
في التطور، في عصر نزول القرآن الكريم، ولذلك

اللهجة البغدادية بذات المعنى فالهجم الهدم أو المصاب
الجلل الذي يصيب الشيء فيهدأ أركانه حساً أو معنأً،
وغالباً ما يوصف به البيت على سبيل الدعاء على
الشخص أو على سبيل التسخط! فيقال: انهجم بيتكم
أو الله يهجم بيتكم دعاءً، ويقال: انهجم بيتنا، تسخطاً.
ويستعمل من الهجم الفعل هجم ويهجم واهجم، واسم
مفعول مهجوم، والمصدر هجم.
(8) الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/69.

معنوي⁽¹⁾، مع اكتساب النائب أحكام الفاعل⁽²⁾،
لعل أهم هذه الأحكام هو الحكم الإعرابي، ولهذا
التعديل مجموعة من القواعد التي تتعلق بصياغة
الفعل ماضياً كان أو مضارعاً⁽³⁾، وأخرى من
القواعد تتعلق بما ينوب عن الفاعل في حال تعدد
أو تراحم ما يصلح للقيام مقام الفاعل⁽⁴⁾.
والذي يتبع النطق اللهجي البغدادية العامية
المعاصرة يلاحظ استغناء اللغة عن هذا النمط من
التركيب تماماً، والتعويض عنه بنمط (انفعل)،
فالنمط اللغوي الفصيح (قُتل الرجل) مثلاً، يجري
على ألسنة العوام البغداديين بنمط بديل وهو
قولهم: (انقتل الرجل).

ومثل ذلك لو قلنا في الفصيح: (سُرقت
السيارة) نجد دلالة هذا النمط قائمة في اللهجة
بنمط (انسُرقت السيارة).

ومن ذلك قول البغداديين في المثل الشعبي:
«انهجم بيتها للبامية»⁽⁵⁾، اشكد تنفخ»⁽⁶⁾، ويضرب
المثل تعريضاً بالشخص الذي يُكثر من المبالغات
والدعاوى. وقولهم: (انهجم بيتها) يقابل (هَجِم)⁽⁷⁾

(1) ينظر: اللباب، العكبري: 1/157، وشرح المفصل، ابن
يعيش: 307-306/4، وشرح التسهيل، ابن مالك:
2/124، وارتشاف الضرب، أبو حيان: 3/1325.
(2) فينوب عنه في رفعه، وعمدته، ووجوب التأخير عن
فعله، واستحقاق الاتصال به، وتأنيث الفعل لتأنيته
ونحوها.

(3) في آلية صياغة الفعل المبني للمجهول ينظر: شرح ابن
عقيل: 2/113.

(4) ينظر: أوضح المسالك، ابن هشام: 2/127-134.

(5) البامية: نبتة مشهورة يصنع البغداديون منها مرقاً.

(6) الأمثال البغدادية، جلال الحنفي: 1/74.

(7) الهجم في المعجم: الهدم، يقال: هَجِمَ البَيْتُ: واهْجَمَ.
انْهَدَمَ. ينظر: تهذيب اللغة، الأزهرى: 6/46،
والمحكم، ابن سيدة: 4/176. والدلالة الاستعمالية في

والنحويّة، تتمثل هذه الانحرافات -التي رصدت- في أربع ظواهر صوتية وهي: ظاهرة التبدلات الصوتيّة، وظاهرة التخلّص من الهمز، وظاهرة كسر أوائل الكلمات، وتعديل على النظام المقطعي الفصيح. ثم المستوى النحويّ وله أربع ظواهر أيضًا وهي: ظاهرة غياب علامات الإعراب، وظاهرة تعميم العلامة الإعرابية الواحدة، وظاهرة تطابق العدد في الجملة الفعلية، وظاهرة الاستغناء عن نمط المبني للمجهول لصالح وزن (انفعل).
ثالثًا: من أهم القوانين العاملة في مسيرة التطور اللغوي والجنوح نحو الانحراف عن النموذج الفصيح:

1. السهولة والتيسير .
2. كثرة الاستعمال .
3. القياس الخاطيء.
4. الانحدار من النموذج العتيق الشاذ أو النادر.

سائلًا الربّ الكريم سبحانه في خاتمة هذا البحث العون والتوفيق، والإخلاص في القول والعمل، وهو المولى ونعم النصير. والحمد لله ربّ العالمين.

نجد الفعل المطاع واردة في النص القرآني، في سياق الأفعال المبينة للمجهول، في بعض الأحيان، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ الانفطار: 1، تلك كانت بداية التطور في هذه الظاهرة حينذاك. وقد ظل هذا التطور سائرًا على ألسنة العامة، وفي لهجات الخطاب، شيئًا فشيئًا، حتى كادت صيغة المبني للمجهول الأصلية، تندثر في كثير من اللهجات العربية الحديثة، وينوب عنها في الدلالة عن الجهل بالفاعل صيغة: (انفعل)⁽¹⁾.

وما حدث في هذه اللهجات الحديثة، حدث مثله تمامًا في اللغة العربية القديمة، حيث ضاعت منها الصيغة الأصلية للمبني للمجهول كذلك، لصالح صيغة تقابل صيغة (انفعل) في العربية⁽²⁾.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة البحثية في تتبّع بعض الانحرافات اللغوية التي تشتمل عليها لغة الأمثال الشعبية البغدادية المعاصرة وعرض مجموعة من الشواهد الموضحة لما قرّر فينا هنا وفي خاتمة هذا البحث أحرص على تلخيص أهم النتائج التي توصّل إليها البحث:

أولًا: قدّم البحث رصدًا لعدد من الانحرافات اللغوية في اللهجة البغدادية المعاصرة في مستويين لغويين: المستوى الصوتي والمستوى النحوي، وعرض لذلك مجموعة من التطبيقات من لغة الأمثال الشعبية البغدادية.

ثانيًا: تقرّر في البحث أنّ لغة الأمثال الشعبية البغدادية تشتمل على جملة من الانحرافات الصوتية

(1) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التواب: 80-78/1.

(2) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التواب: 80.

- الثالثة، 1417هـ - 1997م.
12. التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، آمنة صالح الزعبي، دار الكتاب الثقافي، الأردن - إربد، 2005م.
13. تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
14. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلية (ت: 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.
15. دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
16. دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، يحيى عباينة، دار الشروق، عمان، الطبعة الأولى 2000م.
17. دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الرابعة، 1427هـ - 2006م.
18. درة الغواص في أوهام الخواص، أبو محمد الحريري (ت: 516هـ)، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418/1998هـ.
19. سر صناعة الإعراب، ابن جني (ت: 392هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م.
20. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل (ت: 769هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، الطبعة: العشرون، 1400هـ - 1980م.
21. شرح المفصل، ابن يعيش (ت: 643هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب

ثبت المصادر

1. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1998م.
2. أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب، مطبعة الكسلاوي، الطبعة الثانية، 1968م.
3. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، 2007م.
4. الأصول في النحو، ابن السراج (ت: 316هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.
5. الأمثال البغدادية، الشيخ جلال الحنفي، دار البيضاء، بيروت - لبنان.
6. الأمثال الشعبية في البصرة، عبد اللطيف الدليشي، مطبعة دار التضامن، بغداد.
7. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام (ت: 761هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
8. بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1415هـ - 1995م.
9. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي (ت: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
10. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك (ت: 672هـ)، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، 1387هـ - 1967م.
11. التطور اللغوي مظاهره وعلله، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة

- العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م.
22. شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك (ت: 672 هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م.
23. شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي (ت: 686 هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1975 م.
24. علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى.
25. في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003 م.
26. الكتاب، سيبويه (ت: 180 هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م.
27. اللباب في علل البناء والإعراب، العكبري (ت: 616 هـ)، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1995 م.
28. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الخامسة، 1427 هـ - 2006 م.
29. اللمع في العربية، ابن جني (ت: 392 هـ)، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.
30. متن شذور الذهب، ابن هشام (ت: 761 هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
31. مجمع الأمثال، الميداني (ت: 518 هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
32. مختار الصحاح، أبو عبد الله الرازي (ت: 666 هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420 هـ - 1999 م.
33. المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004 م.
34. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة 1417 هـ - 1997 م.
35. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (ت: 911 هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1998 م.
36. معاني النحو، فاضل السامرائي، دار الفكر، الأردن، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
37. معجم اللغة العامية البغدادية، الشيخ جلال الحنفي، مطبعة العاني، بغداد، 1382 هـ - 1963 م.
38. معجم وأصول اللهجة العراقية، الشيخ محمد رضا الشيبلي، الدار العربية للموسوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2007 م.
39. المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري (ت: 538 هـ)، تحقيق: د. علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، 1993 م.
40. الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من الباحثين.
41. موسوعة اللغة العامية البغدادية أصولها وأبنتها ومعجم ألفاظها، الدكتور مجيد القيسي، مطابع دار الأديب، عمان - الأردن.
42. النثر في العصر الجاهلي، هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، 1993 م.

